التسلسل العام للدروس (٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، أما بعد:

قال المؤلف – رحمه الله –: (بَابُ فَضْلِ التَّوْحِيدِ وَمَا يُكَفِّرُ مِنَ الذُّنُوبِ).

وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ} [الأنعام: ٨٢]**الْآيَةَ.**

قوله: (بَابُ فَضْلِ التَّوْحِيدِ وَمَا يُكَفِّرُ مِنَ الذُّنُوبِ): لما ذكر المصنف – رحمه الله – في الباب الأول أو في مقدمة الكتاب **"كتاب التوحيد"** أن التوحيد أوجب الواجبات وذكر الأدلة على ذلك من الكتاب ومن السنة ثنى بهذا الباب وهو باب فضل التوحيد.

قوله: « فَضْلِ»: لا يعني بذلك أنه ليس من الواجبات لأن الفضل يذكر أحيانًا وإن كان من الواجبات، فيقال: فضل كذا على كذا. مع أنه من الواجبات، ويدل على ذلك قول النبي ﷺ: **[صلاة الجماعة تفضل على صلاة الفذ]** مع أن صلاة الجماعة واجبة.

قوله: « بَابُ فَضْلِ التَّوْحِيدِ » نقول: أنه لا يلزم من ذكر فضل الشيء أنه ليس من الواجبات.

قوله: « التَّوْحِيدِ » سبق الكلام عليه.

قوله: « وَمَا يُكَفِّرُ » ما هنا يحتمل أن تكون:

١. موصولية: أي بمعنى الذي، فيكون المعنى باب فضل التوحيد والذي يكفر من الذنوب.

٢. مصدرية، فيكون المعنى باب فضل التوحيد وتكفيره للذنوب، ونقول: أن التوحيد من فضله أنه يكفر جميع الذنوب كما في حديث البطاقة، وسيأتي – إن شاء الله –.

قوله: وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ} [الأنعام: ٨٢] **الْآيَةَ.**

قوله: { الَّذِينَ آمَنُوا}: أي صدقوا، والإيمان هو قول وعمل.

قوله: { وَلَمْ يَلْبِسُوا }: أي و لم يخلطوا إيمانهم بظلم.

قوله: { إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ }: أي بشرك.

وهذه الآية لما نزلت شق على الصحابة فقالوا: يا رسول الله أينا لم يظلم نفسه؟ وظنوا ذلك أنه بالمعاصي فقط وبالتقصير في الواجبات، فقال النبي ﷺ: **[ألم تسمعوا إلى قول العبد الصالح: { إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}** [لقمان: ١٣]**]** وفسر النبي ﷺ هنا الظلم بالشرك.

قال تعالى: **{أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ}** [الأنعام: ٨٢].

قوله: {أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ}: الأمن أي الأمن الكامل، وهو بمعنى الطمأنينة، فلهم الطمأنينة الكاملة في الدنيا وفي الآخرة.

قوله: {وَهُمْ مُهْتَدُونَ}: أيضًا هم مهتدون في الدنيا والآخرة، واهتداؤهم في الدنيا بلزوم الطريق الصحيح وهو طريق التوحيد، وذلك لأنهم يلتزموا بهذا التوحيد قولًا وعملًا.

وهم مهتدون في الآخرة وذلك بسلوك طريق الجنة نسأل الله من فضله، وهذه الآية تدل على فضل التوحيد وأن من وحد الله ﷻ كان له الأمن الكامل في الدنيا والآخرة، وأيضًا هو من المهتدين في الدنيا والآخرة.

📖قال المؤلف – رحمه الله –: عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: [مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ وَالْجَنَّةَ حَقٌّ وَالنَّارَ حَقٌّ أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ] أَخْرَجَاهُ.

قوله: « مَنْ شَهِدَ » الشهادة نقول: هي بمعنى الإقرار أي من أقر، وذلك بقوله أي تكلم بذلك.

قوله: « لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ »: أي لا معبود بحق إلا الله.

قوله: « وَحْدَهُ » تأكيد على هذا المعنى.

قوله: « لَا شَرِيكَ لَهُ » أيضًا تأكيد على المعنى السابق، وسيأتي – إن شاء الله – الكلام على معنى لا إله إلا الله، وشروطها.

قوله: «وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ»: أي أنه أقر، وآمن، وأذعن بأن النبي ﷺ عبد الله ورسوله، وهذين الوصفين هما أشرفا وصف للنبي ﷺ.

قوله: « عَبْدُهُ »: رد على الغلاة الذين وصفوا النبي ﷺ وجعلوه في مرتبة الألوهية أو الربوبية.

قوله: « وَرَسُولُهُ »: رد على الجفاة الذين خالفوا النبي ﷺ ووصفوا النبي ﷺ بأنه ليس برسول إنما هو ساحر، أو كذاب أو غير ذلك.

قوله: «وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ» وهذا أيضًا فيه رد على الطائفتين.

قوله: « عَبْدُ اللهِ »: رد على النصارى الذين جعلوا عيسى ابنًا لله.

قوله: « وَرَسُولُهُ »: رد على اليهود الذين وصفوا عيسى عليه السلام بأنه ابن للزنا.

قوله: «وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ»: أي أنه أصبح كلمة من عند الله ﷻ فهو كان بكلمة الله، ولم يكن هو الكلمة، وإنما كان بكلمة الله ألقاها إلى مريم.

قوله: «وَرُوحٌ مِنْهُ»: أي أصبح ذا روح من عند الله.

ثم ذكر النبي ﷺ اعتقاد المؤمن بالجنة والنار، وأنه يجب على المسلم أنه يعتقد أن الجنة حق، وأن النار حق.

ثم كانت النتيجة أي من اعتقد هذا الاعتقاد الحق قال النبي ﷺ: «**أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ**»: أي وإن كان له أعمال فيها شيء من التقصير كان مآله إلى الجنة، لذلك قال: «**أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ**»، فقيده بعض العلماء بالتوبة أنه يتوب من المعاصي والذنوب، أو يقال: إن حسنة التوحيد من جاء ذلك محققًا فإن حسنة التوحيد أنها تمحو كل شرك ومعصية كما في حديث البطاقة، أو أنه يكون تحت المشيئة ولكن مآله إلى الجنة لقوله: «**أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ**».

📖**قال المؤلف – رحمه الله –: وَلَهُمَا فِي حَدِيثِ عِتْبَانَ: [فَإِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ]**.

قوله: « **فَإِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ** »: أي حرم دخول المؤمن على النار، ولكن هل المراد بذلك دخولًا أوليًا أو دخولًا تأبيديًا؟

الجواب: يحتمل هذا ويحتمل هذا، وإن كان ظاهر هذا الحديث – « **فَإِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ** » – أي حرم أن يدخلها دخولًا أوليًا، فمن باب أولى أنه يؤبد في النار،

قوله: «**فَإِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ**» هل هذا الحديث على ظاهره؟ أي بمعنى أنه بمجرد أن يقول الإنسان: لا إله إلا الله وإن لم يصل و لم يصم و لم يفعل الطاعات أنه يكون من أهل الجنة وأن النار حرام عليه؟

الجواب: لا، وهذا الحديث اختلف فيه العلماء على أقوال:

القول الأول: قال بعض العلماء: بأن هذا الحديث في أول الإسلام قبل الشرائع.

القول الثاني: منهم من قال: بأن هذا الحديث له بقية ولكن اختصره بعض الرواة، ولكن نقول: أن هذا فيه اتهام للرواة.

القول الثالث: قالوا: بأن هذا الحديث من الأحاديث المطلقة التي تقيد ببقية الأحاديث التي فيها وجوب العمل، ومعلوم أن المطلق يحمل على المقيد، ولكن الشاهد أن نقول: أن ثمرة التوحيد هي أن الإنسان إذا قال: لا إله إلا الله. يبتغي بذلك وجه الله أي خالصًا من قلبه لا يريد بذلك شيئًا من الدنيا فإن النتيجة أنه يكون دخوله على النار من الأمور المحرمة.

«**لا إله إلا الله**» أحاديثها تأتي على نوعين:

النوع الأول: أحاديث مطلقة، فيها «**من قال: لا إله إلا الله دخل الجنة**».

النوع الثاني: أحاديث مقيدة، والتقييد يأتي على عدة صور:

- منها ما يكون مقيد بالصدق.

- ومنها ما يكون مقيد بالإخلاص.
- ومنها ما يكون مقيد بالعلم وغير ذلك.

والقاعدة: "**أن المطلق يحمل على المقيد**"، لذلك قال أهل العلم: أن لا إله إلا الله لها شروط سبعة، وزاد بعضهم ثمانية.

علم يقين إخلاص صدقك مع محبة وانقياد والقبول لها

وزيد ثامنها وسيأتي - إن شاء الله -.

وعلى ذلك نقول: أن أحاديث لا إله إلا الله التي جاءت في فضل من قال: لا إله إلا الله على نوعين:

النوع الأول: نوع مطلق.

النوع الثاني: نوع مقيد، والقاعدة "**أنا نحمل المطلق على المقيد**".

📖**قال المؤلف – رحمه الله –: وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: [قَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ يَا رَبِّ، عَلِّمْنِي شَيْئًا أَذْكُرُكَ وَأَدْعُوكَ بِهِ. قَالَ: قُلْ يَا مُوسَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ. قَالَ: يَا رَبِّ، كُلُّ عِبَادِكَ يَقُولُونَ هَذَا! قَالَ: يَا مُوسَى، لَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَعَامِرَهُنَّ غَيْرِي وَالْأَرَضِينَ السَّبْعَ فِي كِفَّةٍ وَ"لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ" فِي كِفَّةٍ، مَالَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ] رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ.**

قوله: «وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: قَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ يَا رَبِّ، عَلِّمْنِي شَيْئًا أَذْكُرُكَ وَأَدْعُوكَ بِهِ»: هذا دليل على أن المؤمن ينبغي له أن يطلب من الله ويسأل الله ﷻ أن يعلمه، يسأله سبحانه أن يفقهه، ويسأله أن يعينه على العلم والتعلم.

قوله: «شيئًا أذكرك وأدعوك به، قَالَ: قُلْ يَا مُوسَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»: أي أن هذه الكلمة تجمع هذين الأمرين، ما هما؟

الجواب: هما الذكر والدعاء.

قوله: «قَالَ: يَا رَبِّ، كُلُّ عِبَادِكَ يَقُولُونَ هَذَا»: أي بمعنى أنه يريد أمرًا لا يعمل به الناس أو لا يعلمه الناس يختص به؛ لأن الله ﷻ خصه بالكلام والرسالة فهو يريد ذكر ودعاء يكون له من الخاصة.

فقال الله سبحانه وتعالى: «**يَا مُوسَى، لَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَعَامِرَهُنَّ غَيْرِي**»: أي ساكنهن غيري.

قوله: «وَالْأَرَضِينَ السَّبْعَ فِي كِفَّةٍ وَ"لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ" فِي كِفَّةٍ، مَالَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»: وهذا كله يدل على فضل هذه الكلمة وهي "**لا إله إلا الله**" وهذا يدل على عظم التوحيد، وفضله، وأن مَن عظَّم التوحيد كان جزاؤه أنه يكون من أهل الجنة، وأن النار حرام عليه، لذلك هذه الكلمة "**لا إله إلا الله**" هي أعظم الذكر، وأعظم الدعاء.

قوله: « رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ »: وإن كان بعض العلماء ضعفه لأن فيه دراج بن أبي السمح، وصححه ابن حجر وغيره من أهل العلم.

📖قال المؤلف – رحمه الله –: [وَلِلتِّرْمِذِيِّ وَحَسَّنَهُ عَنْ أَنَسٍ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: قَالَ اللهُ تَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ، لَوْ آتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا، ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا؛ لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً].

قوله: «يَا ابْنَ آدَمَ، لَوْ آتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ»: أي ما يقارب الأرض، وذلك إما ملئًا، أو حجمًا. أي بمعنى أنك لو آتيتني بما يقارب الأرض أي ملء الأرض أو حجم الأرض «**خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا**».

قوله: « ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا»: الشرك هنا يشمل الشرك الأكبر والأصغر.

كانت النتيجة وهذا الذي يدل على فضل التوحيد: «**لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً**»: أي لأتيتك بقراب الأرض أي ملء الأرض أو حجم الأرض، وهذا كله يدل على فضل التوحيد، ولكن قد يقول قائل: هل يلزم من ذلك أن الإنسان يكون تاركًا للمعاصي والذنوب والكبار أم أنه لا يشترط؟

الجواب: نقول: من العلماء من قال: بأن هذا الحديث مقيد بالتوبة، أي من جاء بالتوحيد تائبًا من الذنوب، أو أن يقال: جاء بالتوحيد بعد التوبة من كبائر الذنوب فإن النتيجة أن الله ﷻ يقابله بالمغفرة.

ويحتمل أن نقول: أن حسنة التوحيد وفضل التوحيد أنها لا تُبقي أثرًا لذنب، سواء كان من الكبائر أو من الصغائر، ويدل على ذلك أن التوحيد من أعظم ما يقرب الإنسان إلى الله ﷻ، فلو قال الإنسان: لا إله إلا الله، وعمل بهذه الكلمة، وآمن بها، ويعظمها، وكان مستجمعًا لشروطها، عارفًا بشروطها، وكذلك عارفًا بما يناقض هذه الكلمة، فإنا نقول: أن مَن آمن بذلك وعمل به فإن ثمرة ذلك أن الله ﷻ أولًا يدخله الجنة، ويحرم عليه النار، كذلك نقول: أنه يغفر له جميع الذنوب.

📖**قال المؤلف – رحمه الله –: (بَابٌ مَنْ حَقَّقَ اَلتَّوْحِيدَ دَخَلَ اَلْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ)**

وَقَوْلُ اَللَّهِ تَعَالَى: {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [النحل: ١٢٠].

وَقَالَ: {وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ} [المؤمنون: ٥٩].

قال المؤلف – رحمه الله – في الباب الثالث: «بَابٌ مَنْ حَقَّقَ اَلتَّوْحِيدَ دَخَلَ اَلْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ».

أولًا: ما مناسبة هذا الباب بكتاب التوحيد؟

الجواب: نقول: مناسبة هذا الباب بكتاب التوحيد واضحة: أن تحقيق التوحيد هو أعظم ثمرة للتوحيد، فمن أراد أن يكون من الموحدين لا بد أنه يحقق هذا التوحيد قولًا وعملًا واعتقادًا.

ومناسبة هذا الباب لما قبله نقول: لما ذكر المصنف – رحمه الله –: وجوب التوحيد، ثم بعد ذلك ثنى بفضله ثلث بهذا الباب وهو كيفية التحقيق؛ لأن النفوس اشتاقت لهذا الأمر وهو كيفية تحقيق التوحيد فقال المؤلف – رحمه الله –: «**بَابٌ مَنْ حَقَّقَ اَلتَّوْحِيدَ** ».

قوله: « بَابٌ مَنْ حَقَّقَ اَلتَّوْحِيدَ » نقول: التحقيق أي التخليص، أي من خلَّص هذا التوحيد من شوائب الشرك.

والتحقيق يكون بثلاثة أمور:

الأمر الأول: العلم، أن يعلم الإنسان هذا التوحيد فيتعلم.

الأمر الثاني: أن يعتقد هذا التوحيد.

الأمر الثالث: أن يعمل بهذا ا لتوحيد، وعلى ذلك نقول: أن التوحيد لابد أن يمر بثلاثة مراحل:

المرحلة الأولى: العلم.

المرحلة الثانية: الاعتقاد.

المرحلة الثالثة: العمل بهذا التوحيد.

قوله: « **دَخَلَ اَلْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ** »: أي أن هذا جزاء من حقق التوحيد، وفي الحديث: «**بغير حساب ولا عذاب**».

قوله: « **دَخَلَ اَلْجَنَّةَ** »: المراد بذلك دخولًا أوليًا، أي بمعنى أنه لا يدخل النار، وإنما يمر عليها مرورًا كما في الآية وهو الذي يكون بمعنى الورود، وعلى ذلك نقول: أن من حقق التوحيد فإنه لا يعذب بالنار جزاءً من الله ﷻ له وهذا يدل على فضل التوحيد؛ ولكن لا بد أن يكون محققًا للتوحيد.

قوله: « **بِغَيْرِ حِسَابٍ** » نزيد على ذلك: «**ولا عذاب**»، وتحقيق التوحيد يكون على نوعين:

النوع الأول: تحقيق واجب، وهذا التحقيق أي الواجب يكون بترك الشرك الأكبر والأصغر.

النوع الثاني: تحقيق مستحب وذلك بترك ما لا بأس به حذرًا مما به بأس كالمكروهات، أو المشتبهات، وهذا نقول: أنه من تحقيق التوحيد.

قوله: وَقَوْلُ اَللَّهِ تَعَالَى: {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [النحل: ١٢٠].

ذكر هذه الآية عن إبراهيم، لماذا؟

الجواب: نقول: لأن إبراهيم – عليه السلام – هو أقوى من حقق التوحيد، فجاء المصنف – رحمه الله – بهذه الآية لفضل إبراهيم على غيره من الأنبياء والرسل **{إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}** [النحل: ١٢٠]: فهو ممن حقق التوحيد، لذلك وصفه الله ﷻ بهذه الصفات، وصفه بأنه أمة أي يقتدى به في الخير، وأنه قانت أي بمعنى أنه خاشع عابد لله ﷻ.

قوله: { حَنِيفًا }: أي أنه على التوحيد

قوله: {وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}: أي و لم يكن عنده شيء من الشرك لا الأكبر ولا الأصغر.

قوله: {وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}: أي و لم يكن يخالط هؤلاء بل أعلن البراءة وهاجر إلى ربه.

قوله: وَقَالَ: {وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ} [المؤمنون: ٥٩]: وهذه الآية ذكرها المصنف – رحمه الله – بعد أن ذكر صفات المؤمنين ذكر من صفاقم **{وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ}** [المؤمنون: ٥٩].

قوله: { لَا يُشْرِكُونَ}: أي الشرك الأكبر والأصغر، ولكن هل يدخل في هذا الذنوب والمعاصي؟

الجواب: اختلف العلماء هل تسمى هذه الذنوب أي الكبائر والصغائر هل تسمى شركًا أو لا تسمى شركًا؟ على خلاف بين العلماء.

والأظهر والأقرب: أنها لا تسمى شركًا وإنما هي من جملة المعاصي، لأن الذنوب الكبائر والصغائر لها حدود يختلف تعريفها عن تعريف الشرك الأكبر والأصغر، كذلك لها عقوبة تختلف عن عقوبة الشرك الأكبر والأصغر، كذلك قال الله ﷻ عن الشرك: **{إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ}**[النساء: ٤٨] أي ما كان أقل من الشرك.

الدليل على أن الذنوب والمعاصي لا تسمى شركًا: – وإن كان بعض العلماء سمى هذه الأشياء شركًا؛ لأن الله ﷻ قال: **{أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ}**[الفرقان: ٤٣] –، قال: كل من عصى الله ﷻ فقد وقع في الشرك، ولكن نقول: أن الأظهر والأقرب أن جملة المعاصي التي هي أقل من الشرك لا تسمى شركًا.

📖**قال المؤلف – رحمه الله –: وَعَنْ حُصَيْنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ رَأَى الْكَوْكَبَ الَّذِي انْقَضَّ الْبَارِحَةَ؟ فَقُلْتُ: أَنَا ثُمَّ قُلْتُ أَمَّا إِنِّي لَمْ أَكُنْ فِي صَلَاةٍ وَلَكِنِّي لُدِغْتُ قَالَ فَمَا صَنَعْتَ؟ قُلْتُ ارْتَقَيْتُ قَالَ فَمَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ؟ قُلْتُ حَدِيثٌ حَدَّثَنَاهُ الشَّعْبِيُّ. قَالَ: وَمَا حَدَّثَكُمْ؟ قُلْتُ: حَدَّثَنَا عَنْ بُرَيْدَةَ بْنِ الْحُصَيْبِ أَنَّهُ قَالَ: [لَا رُقْيَةَ إِلَّا مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَةٍ]قَالَ: قَدْ أَحْسَنَ مَنِ انْتَهَى إِلَى مَا سَمِعَ، وَلَكِنْ حَدَّثَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: [عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيَّ وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي، فَقِيلَ لِي هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي هَذِهِ أُمَّتُكَ، وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ ثُمَّ نَهَضَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ فَخَاضَ النَّاسُ فِي أُولَئِكَ– فَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمْ الَّذِينَ صَحِبُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمْ الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الْإِسْلَامِ فَلَمْ يُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا وَذَكَرُوا أَشْيَاءَ فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرُوهُ فَقَالَ: " هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ وَلَا يَكْتَوُونَ وَلَا يَتَطَيَّرُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ " فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مُحْصَنٍ فَقَالَ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ فَقَالَ: " أَنْتَ مِنْهُمْ " ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ آخَرُ فَقَالَ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَقَالَ: " سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ"]**.

قوله: «وَعَنْ حُصَيْنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ»: أي السلمي.

قوله: «قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ»: وهو الإمام المشهور.

قوله: «فَقَالَ: أَيُّكُمْ رَأَى الْكَوْكَبَ الَّذِي انْقَضَّ الْبَارِحَةَ؟»: أي الذي سقط البارحة، ولكن لو قال قائل: هل يجوز للإنسان أن ينظر إلى الشهب التي تسقط أو أنه لا يجوز؟

الجواب: نقول: ورد حديث عند الحاكم وعبد الرزاق أن النبي ﷺ نهى عن اتباع الشهب. أي بمعنى أن الإنسان لا يتبع بصره الشهب.

قوله: «**فَقَالَ: أَيُّكُمْ رَأَى اَلْكَوْكَبَ اَلَّذِي اِنْقَضَّ اَلْبَارِحَةَ؟**». فَقُلْتُ: أَنَا» أي أنا رأيته.

قوله: «**ثُمَّ قُلْتُ: أَمَّا إِنِّي لَمْ أَكُنْ فِي صَلَاةٍ**»: أولًا من هو القائل: «**أَمَّا إِنِّي لَمْ أَكُنْ فِي صَلَاةٍ**» هل هو سعيد أو حصين بن عبد الرحمن؟

الجواب: القائل هو حصين بن عبد الرحمن؛ لأن سعيدًا هو الذي سأل، وحصين هو الذي تكلم بذلك.

قوله: «**ثم قلت أَمَّا إِنِّي لَمْ أَكُنْ فِي صَلَاةٍ**»: لماذا قال هذه الجملة؟

الجواب: قال هذه الجملة حتى لا يتوهم الحاضرون أن حصينًا قام لأجل الصلاة أو قام ليتعبد الله ﷻ، وإنما قام لغرض آخر وهو أنه لدغ، فهذا هو سبب قيامه، وهذا يدل على ماذا؟

الجواب: هذا يدل على الإخلاص وفضل السلف وشرفهم أنهم لا يتلبسون بلباس الصالحين وإن كانوا من الصالحين، وإن كانوا ممن يقوم الليل ولكنه لا يتلبس حتى لا يظن ظان، ولذلك - والله أعلم - أن هذا الحديث روي من طرق ولكنه أكثر ما روي من طريق حصين بن عبد الرحمن، وهو الذي يتداوله العلماء في كتبهم ككتاب التوحيد، لماذا؟

الجواب: نقول: والله أعلم لبركة هذا الرجل وإخلاصه، فلما كان خالصًا في قوله روي من طريقه ولم يروَ من طريق غيره، لذلك نقول: أن الإخلاص له بركة على الإنسان. فينبغي للإنسان أنه دائمًا يلزم الإخلاص في القول والعمل والاعتقاد، ولا يباهي في عمله، بعض الناس يتلبس بلباس الصالحين وإن لم يكن منهم.

مثال ذلك: شخص مثلًا سئل هل حفظت القرآن؟ أحيانًا هو لم يحفظ؛ ثم بعد ذلك يقول: الله أعلم. ليوهم أنه حافظًا للقرآن، أو يقدم له مثلًا مشروب كالشاي أو القهوة، فيمتنع فيقال: أنت صائم؟ فيسكت عن ذلك ليوهم الناس أنه صائم وهو ليس بصائم، نقول: أن هذا يعد من الإخلاص أو الرياء؟

الجواب: نقول: أنه يعد من الرياء.

لو أن الإنسان حافظ للقرآن فسئل فقال: الله أعلم أو سكت. نقول: هذا يعد من الإخلاص؛ لأنه لا يحب أن يذكر بذلك، ومثله كذلك الصيام، أما أن يكون إنسان ليس بحافظ فيسأل أو ليس بصائم ثم بعد ذلك يوهم الناس أنه صائم أو غير ذلك من الأعمال نقول: أن هذا يعد من جملة الرياء، فاعلم أن الرياء يعد من الشرك بالله ﷻ وهو على درجات كما سيأتي.

قوله: «**أَمَّا إِنِّي لَمْ أَكُنْ فِي صَلَاةٍ، وَلَكِنِّي لُدِغْتُ**»: أي لسعت.

قوله: «**قَالَ فَمَا صَنَعْتَ؟**» أي فما عملت بعد ذلك؟ «**قُلْتُ: اِرْتَقَيْتُ**»: أي قرأت أو طلبت أن أرتقي، إما أنه هو رقى على نفسه أو استرقى.

قوله: «**قال: ارتقيت**»: أي قرأت على نفسي.

قوله: «قَالَ: فَمَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ؟»: أي لأي شيء صنعت هذا الصنيع؟ لماذا؟ **«قُلْتُ: حَدِيثٌ حَدَّثَنَاهُ اَلشَّعْبِيُّ»** وهذا فيه فائدة أيضًا أن الإنسان إذا جاء إلى شخص أقل منه علمًا فرآه يعمل أو رآه على حالة يظن أن الجهل يغلب عليه، أو أنه يريد أن يندفع أو أنه يريد أن ينفعه ينبغي له أن يحدثه بذلك ويتلطف في طريقة تعليمه.

مثال ذلك: شخص ذهب إلى المستشفى فرأى رجلًا مصابًا كأن يكون مثلًا عليه جبيرة في رجله أو في يده أو غير ذلك من الأمور، فيسأله كيفية الصلاة؟ كيف تصلي؟ كيف تتوضأ؟ كيف تفعل كذا وكذا من الأمور؟ فإن أجابك وعندك جواب أحسن منه تعلمه، وإن لم يكن عندك جواب أو هو ليس عنده جواب صحيح وإنما نقل ذلك أو أخذ ذلك عن طريق الفتوى أو القراءة أو غير ذلك أن تثني عليه؛ لأنه اتبع العلماء، فتبلغه وتعلمه بما هو أفضل من عمله هذا.

مثال ذلك: شخص وجدته مصاب بجبيرة فتسأله عن صفة الوضوء، كثير من الناس يظن أنه في حال مسحه للجبيرة أنه يمسح على أعلى الجبيرة، بس الأعلى فوق، فتسأله أحيانًا يقول لك: والله أنا هذا الذي درست، هذا الذي سمعت، هذا الذي كذا وكذا من الأمور تثني عليه، ولكن تقول: أما الصحيح أن الإنسان يجب عليه أن يمسح على جميع الجبيرة؛ لأنها تختلف عن المسح على الخفين.

هذا كما فعل هنا سعيد بن جبير مع حصين بن عبد الرحمن؛ **«قال: فما صنعت؟ قلت: ارتقيت. قال: فما حملك على ذلك؟ »**: بأي شيء؟ بأي دليل فعلت هذا الفعل؟ قال: **«قلت: حديث حدثناه الشعبي. قال: وَمَا حَدَّثَكُمْ؟ قُلْتُ: حَدَّثَنَا عَنْ بُرَيْدَةَ بْنِ الْحُصَيْبِ أَنَّهُ قَالَ: لَا رُقْيَةَ إِلَّا مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَةٍ»**.

قوله: « لَا رُقْيَةَ »: أي لا قراءة أنفع وأولى وأحسن من القراءة التي يكون سببها العين أو الحمة، العين بمعنى النظرة، والحمة هي القرصة ذات السموم، وهذا الأثر من هذا الطريق هو موقوف؛ ولكنه ورد من رواية أخرى أنه مرفوعًا عن النبي ﷺ.

قوله: «قَالَ: قَدْ أَحْسَنَ مَنِ اِنْتَهَى إِلَى مَا سَمِعَ»: أي تثني على من كان يتبع الدليل أو يتبع كلام العلماء، وإن كان عندك زيادة علم تنفع، ولذلك قال: **«وَلَكِنْ حَدَّثَنَا اِبْنُ عَبَّاسٍ عَنْ اَلنَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: عُرِضَتْ عَلَيَّ اَلْأُمَمُ»**: واختلف العلماء متى العرض؟ هل هو هذا العرض في ليلة الإسراء أو أنه عرض في المنام؟.

قوله: «عُرِضَتْ عَلَيَّ اَلْأُمَمُ فَرَأَيْتُ اَلنَّبِيَّ وَمَعَهُ اَلرَّهْطُ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ اَلرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيَّ وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ»: وهذا يدل على أن الإنسان يجب عليه أن يبلغ دين الله، ولا ينظر إلى الأتباع؛ لأن من العلماء أو الدعاة من يُوَفَّق في الدعوة إلى الله ﷻ، ولكن لا يجد على ذلك قبولًا من الناس، فهو يدعو إلى الله ويبين وينصح ويوضح ولكن لا تجد له قبولًا أو لا تجد له أتباعًا، نقول: تذكر من هو خير منك، نبي مكلف من عند الله ﷻ ثم بعد ذلك هو ليس معه أحد، يأتي يوم القيامة لوحده.

ولذلك يجب على الإنسان أن يبلغ دين الله وينصح لله ﷻ ولا ينظر إلى الأتباع، بلا شك أن كثرة الأتباع أحيانًا تعطي للإنسان دافعًا وتعين الإنسان على الدعوة ويفرح الإنسان بكثرتهم لأن هؤلاء هم الذين يدعون له بعد مماته وغير ذلك، ولكن نقول: أنه لا ينظر إلى كثرة الأتباع فيبلغ دين الله ﷻ وقد يكون إنسان له أتباع ولكنه ليس في حياته وإنما هو بعد موته، كأن يكون الإنسان مثلًا من العلماء ولكن ليس عنده طلاب، فيشتغل بالتأليف ثم بعد ذلك بعد موته يعتكف الناس على كتبه قراءة وشرحًا، وتعلمًا، وبذلًا وغير ذلك فيتعلم الناس، فنقول: أن هؤلاء من الأتباع، أنت بلغ دين الله سواء كان بالقول أو بالفعل، أو بالكتابة، أو غير ذلك ثم بعد ذلك توكل على الله ﷻ في هذه الدعوة إن كان لك أتباع فهذا فضل من الله، وإن لم يكن فمما نقول: أنه قد يكون لك بعد الموت أتباع.

قوله: «**إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي**»: وسبب هذا الظن أن النبي أُخبر بأن أمته كثير.

قوله: «**فَقِيلَ لِي هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ**»: وهذا يدل على فضل موسى وقومه أنهم كثير.

قوله: « **وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا**»: هناك روايات كثيرة ذكرها العلماء في اختلاف هذا اللفظ في سبعون ألف:

- من الروايات: **[ومعهم سبعون ألفًا ومع كل ألف سبعون ألفًا]**.
- وفي رواية: **[مع سبعين ألف سبعين ألف]**.
- وفي بعض الروايات: **[ثلاث حثيات من حثيات الرب]** وغير ذلك من الأحاديث ولكن الذي في الصحيح: **[وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ اَلْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ]**: وهذا يدل على فضل هؤلاء، ولكنهم هل هم من الصحابة أو من غير الصحابة؟
- الجواب: نقول: الله أعلم بذلك، قد يكون هذا العدد ليس مرادًا به فقط سبعون ألف بل قد يكون معهم أكثر من ذلك كما في بعض الروايات.

قوله: «**ثُمَّ نَهَضَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ فَخَاضَ اَلنَّاسُ فِي أُولَئِكَ**»: أي بدأ الصحابة يتحدثون من هؤلاء؟ ما هي صفاتهم؟ هل هم من الصحابة أو من بعد الصحابة؟ هل هم جاءوا في هذا الوقت أو لم يأتوا بعد؟ أو غير ذلك.

قوله: «**فَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمْ اَلَّذِينَ صَحِبُوا رَسُولَ اَللَّهِ ﷺ**»: أي الذين تقدموا في الإسلام والإيمان من المهاجرين،

قوله: «**وَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمْ اَلَّذِينَ وُلِدُوا فِي اَلْإِسْلَامِ فَلَمْ يُشْرِكُوا بِاَللَّهِ شَيْئًا وَذَكَرُوا أَشْيَاءَ**»: أي اختلفوا، وهذا كله يدل على فضل الصحابة أنهم يسعون للعمل، هم يريدون أن يحققوا هذه الصفة وأنهم يدخلوا مع هؤلاء السبعين ألف، فبدأوا يتدارسون بعضهم مع بعض في كيفية الدخول مع هؤلاء، فَخَرَجَ النبي ﷺ وهم يتساءلون من هؤلاء؟ فقال النبي ﷺ: «**هُمُ اَلَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ وَلَا يَكْتَوُونَ وَلَا يَتَطَيَّرُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**» أي من حقق هذه الصفات الأربع:

أولًا: لا يسترقون.

ثانيًا: لا يكتوون.

ثالثًا: لا يتطيرون.

رابعًا: يتوكلون على الله ﷻ.

قوله: « هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ »: الاسترقاء هو بمعنى طلب الرقية، أي أن تطلب من أحد أن يرقيك، وحكم طلب الرقية نقول: طلب الرقية جائز، ولكن تركه أولى وأحسن، وعلى ذلك نقول: من أراد أن يحقق أو أن يكون من المحققين للتوحيد أنه لا يطلب من أحد أن يرقيه، مع أننا نقول: أن طلب الرقية جائز؛ ولكن تركه توكلًا على الله ﷻ أولى وأحسن، إلا إذا ترتب على الإنسان بتركه لطلب الرقية أنه فوت مصلحة كبرى كصلاة الجماعة وغير ذلك، فنقول: الأولى أن تطلب من أحد أن يرقيك حتى تحضر صلاة الجماعة لإصابته بعين أو سحر أو غير ذلك؛ ولكن إذا قوي الإنسان وقرأ على نفسه فهو أولى من طلب الرقية، وسيأتي – إن شاء الله – الكلام على الرقية وأحكام الرقية.

قوله: « وَلَا يَكْتَوُونَ »: الاكتواء هو الكي بالنار أي المس بالنار، أن يمس جسده بالنار، والاكتواء معروف؛ ولكن حكم الاكتواء نقول: ورد الاكتواء من فعل النبي ﷺ أي أنه كوى أسعد بن زرارة، وكذلك ورد أن النبي ﷺ ذكر أنه لا يحبه، وذكر أيضًا الثناء على من تركه، وكذلك ذكر النبي ﷺ أنه نهى عن الاكتواء.

فالجامع أن نقول: الاكتواء جائز، ولكن تركه توكلًا على الله أولى وأحسن.

ثم قال في الصفة الثالثة: « وَلَا يَتَطَيَّرُونَ »: وسيأتي الكلام عن التطير.

ثم قال: « وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ » وهل هذه الجملة جملة استئنافية أو أنها جملة معطوفة على السابق؟ أي بمعنى أن الإنسان إذا أراد أن يحقق التوحيد لا بد أن يأتي بهذه الأربعة أنه لا يسترقي ولا يكتوي، ولا يتطير وعلى ربه يتوكل، أو أن المراد بذلك ثلاثة أشياء ويتركها توكلًا على الله، أي أنه لا يسترقي توكلًا على الله، ولا يكتوي توكلًا على الله، ولا يتطير توكلًا على الله: على كل إذا قلنا بهذا أو هذا المراد لا بد من تحقيق التوكل على الله ﷻ.

قوله: «فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مُحْصَنٍ فَقَالَ: اُدْعُ اَللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ»: أي أكون من هؤلاء السبعين.

قوله: «فَقَالَ: أَنْتَ مِنْهُمْ»: وهذا من فضل الله ﷻ على عكاشة ﷺ؛ ولكن لو قال قائل: حكم طلب الدعاء؟

الجواب: نقول: طلب الدعاء جائز، ولكن تركه أولى وأحسن، ينبغي للإنسان أن يدعو هو بنفسه، ولكن لو طلب من الصالحين أو ممن يظن أنه مجاب الدعوة نقول: أنه لا بأس، ولكن الأولى للإنسان أنه يدعو بنفسه، لذلك لما تنظر إلى كبار الصحابة أبو بكر، عمر، عثمان، علي، تجد كثير من كبار الصحابة لم يرد أنهم كانوا يطلبون من النبي ﷺ الدعاء مع أن النبي ﷺ كان مستجاب الدعوة.

قال ابن تيمية – رحمه الله – في معنى كلامه: أنه لا ينبغي لأحد أن يطلب من أحد الدعاء إلا لمصلحة كأن يطلب الإنسان ممن يراه معرض عن الدعاء، شخص رأيته معرض عن الدعاء، أو فيه قصور فتطلب منه الدعاء لقصد مصلحة

نفسه لا مصلحة الغير، وإنما مصلحة نفسه، فشخص رأيته معرض عن الدعاء أو فيه قصور، أو عنده مشاكل أو غير ذلك فطلبت منه الدعاء لقصد أن تنفعه بهذا الدعاء لأنه عندما يدعو الإنسان المؤمن للمؤمن هناك ملك يقول: «**ولك مثله، ولك مثله**» فإن قصدت نفعه بالدعاء فإن هذا لا بأس به مع أننا نقول: أن طلب الدعاء حكمه جائز ولكن تركه أولى.

قوله: «**ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ آخَرُ**» اختلف العلماء فيه:

- فمنهم من قال: أنه من المنافقين ولكن هذا بلا شك أنه ضعيف؟ لماذا؟

الجواب: لأن المنافق يطلب من النبي ﷺ أن يدعو أو لا يطلب؟

الجواب: لا يطلب؛ لأنه متكبر منافق، لذلك فهو لا يطلب، لذلك ورد في رواية البخاري: ثم قام رجل من الأنصار. واختلفوا في تسميته، «**فَقَالَ: ادْعُ اَللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَقَالَ: سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ**».

قوله: « **سَبَقَكَ بِهَا** »: أي سبق إلى هذه الفضيلة أو إلى هذه المزية، وهذا من أدب النبي ﷺ وحسن أخلاقه أنه لم يقل: أنت لست منهم، أو لم يبلغ إيمانك أن يكون من هؤلاء، فقال: « **سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ** »، ويحتمل أن يكون هو منهم، ولكن النبي ﷺ قطعًا لهذا الباب حتى لا يدخل في هذا من لا يستحق ذلك قال: « **سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ** » ثم بعد ذلك أصبح ذلك مثل يقال لكل من سُبق إلى شيء أن يقال: سبقك بها عكاشة.

والله أعلم وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.